العدد (2200) السنة الثامنة - الاحد (24) تموز 2011 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

يرى أن القوات الامنية جاهزة لمسك زمام الامور

سفير العراق بالجامعة العربية لـ(المدى): قضايانا مع الكويت تحسم من خلال الحوار

"أغلب العرب يتحدث بخطابين، هذا شيء معروف وواضح، هناك ظاهر وباطن، ففي الظاهر يقول شيئاً وفي الباطن يضمر شيئاً آخر"، هذا ما قاله سفير العراق في الجامعة العربية قيس العزاوي في حوار موسع مع "المدى"، وأكد أن العراق منذ ٢٢ عاماً لم يترأس دورة من دورات دول الجامعة العربية، وأضاف "من حسن الحظ أن يتولى العراق رئاسة الدورة ١٣٤، وعملنا خلال تلك الفترة منجزات مهمة للغاية، وأنا أفتخر بأن مجلس جامعة الدول العربية ولأول مرة منذ العام ١٩٤٥ يجتمع في العراق"، كما تناول محاور أخرى منها، القضايا العالقة مع الكويت وملف الانسحاب الأميركي، ووقف على القضايا المحورية في ضوء العلاقات العربية-العربية، والعربية-العالمية، في ما يلي نص الجزء الثاني من الحوار.

٢-٢

أجرى الحوار: يوسف المحمداوي
تصوير: أحمد سامي

"تركنا صدام ليذبح شعبه"

× في انتفاضة عام ١٩٩١ كان صدام قاب قوسين أو أدنى من السقوط بعد أن سيطر الشعب الثائر على (١٤) محافظة ولكن العرب تدخلوا وضغطوا على الاميركان في سبيل إنقاذ الطاغية وفرض الحصار علينا؟

– لا.. العرب لم يتدخلوا في هذه المسألة، نعم تدخلوا لإخراج صدام من الكويت، لكن الاميركان لم يكن هدفهم في تلك الفترة إسقاط صدام، بل إضعافه عسكرياً وإخراجه من الكويت، لذا توقفوا عند الناصرية وانتهى الأمر، أما العرب ليس بمقدورهم إزالة صدام لتفوقه العسكري عليهم، لذا شاركوا مع قوات التحالف لإخراجه من الكويت، نعم سقطت (١٤) محافظة بيد الشعب، لكن الاميركان هم من تركوا صدام يفعل ما يشاء بشعبه ومنحوه فرصة استخدام الطائرات والمدفعية والدبابات لإجهاض الانتفاضة، وأنا أتذكر جيداً حين التقيت برئيس وزراء فرنسا السابق ميشيل روكار، وكان وقتها قد خرج من الوزراء، وقلت له لماذا تركتم صدام يجهض انتفاضة الشعب العراقي عام ١٩٩١، وللأمانة أقولها رد عليّ بحسرة وألم: لقد تركناه يذبح شعبه، وكتبتها بمقال في زمن الطاغية فكان تصريح روكار كارثة على صدام في حينها.

"ثلاثة أشياء لا يمتلكها غير العراق"

× ألم تسأله حينها لماذا تركوه ليذبح الشعب؟

– نعم وقال لي .. أن هناك مصالح، لأن ميتران كان يعتقد وهذا هو خط سياسي فرنسي بدأ العمل به في فترة حكم الرئيس الفرنسي جورج بوميدو عندما جمع الدبلوماسيين الفرنسيين، وقال لهم نحن قضينا سنوات طويلة في الاعتناء والاهتمام بعلاقتنا مع دول شمال أفريقيا ولبنان، وأنا الآن أطلب منكم أن تهتموا بعلاقتنا مع العراق، لماذا؟ لأن العراق دولة متقدمة جداً عن جميع الدول العربية، فهو يمتلك ثلاثة أشياء لا يمتلكها غيره، أولاً الثروة المائية، ففيه نهران عظيمان، وفيه النفط وثالثاً أنه أكثر دولة مقارنة بعدد السكان لديه كوادر علمية وثقافية كفوءة. وبالتالي هذه الدولة مهيأة لتصبح بمصاف الدول المتقدمة والصناعية، فعليكم التركيز والاهتمام به، ثم جاء جيسكار ديستان وأتبع السياسة نفسها، وبعث جاك شيراك إلى صدام وكان حينها صدام نائباً للبكر، واتفقا على مشاريع عديدة وضخمة منها بناء المفاعل النووي وغيره، وهذا ما أعطى شعوراً لدى فرنسا بأن العراق أصبح من حصتها وليس من حصة أميركا، لذا تجدهم في زمن ميتران، أكثر الدول الأوربية دفاعاً عن صدام، حتى أثناء الحصار، كانوا يرسلون الطائرات الفرنسية تحت ذريعة المساعدات من أجل كسر الحصار، وبالتالي مقولة ميشيل روكار تعني نحن تعاونّا مع الشيطان من أجل مصالحنا وتركناه يفعل ما يفعل.

"منجزات مهمة للغاية"

× ترأست الدورة ١٣٤ للجامعة العربية، ما أهم إنجازاتكم على صعيد العلاقات العربية العراقية؟

– العراق ومنذ ٢٢ عاماً لم يترأس دورة من دورات دول الجامعة العربية، ومن حسن الحظ أن يتولى العراق رئاسة الدورة ١٣٤، بمعنى أن الأستاذ هوشيار زيباري يترأس اجتماعات وزراء الخارجية العرب، وأن أترأس السفراء في الجامعة العربية، وعملنا خلال تلك الفترة منجزات مهمة للغاية، وأنا أفتخر بأن مجلس جامعة الدول العربية ولأول مرة منذ العام ١٩٤٥ يجتمع في العراق، لأنه في العادة أن تجرى الاجتماعات في مقر الجامعة، لكن إثر الثورة المصرية في ٢٥ يناير اختير العراق ليكون مقر عقد مجلس الجامعة العربية لجلسته الاستشارية، وباعتقادي أننا بدأنا بالفعل أن نتلمس طريق راسخ لهذه العلاقات، التي من خلالها يستطيع أن يستعيد العراق قوته ونهوضه من جديد.

"العرب يتحدثون بخطابين"

× الأميركان على أبواب الانسحاب حسب الاتفاقية المبرمة بين أميركا والعراق ما هو موقف العرب.. هل مع الانسحاب أم ضده؟

– العرب يتحدثون بخطابين، هذا شيء معروف وواضح، نقول في أغلب السياسات العربية حتى لا نعمم، هناك ظاهر وباطن، ففي الظاهر يقول شيئاً وفي الباطن يضمر شيئاً آخر فالجميع لديهم علاقات أمنية واتفاقيات إستراتيجية، والبعض لديهم قواعد عسكرية أميركية، لكن العرب ينظرون إلى العراق كحالة استثنائية لوزنه التاريخي والحضاري، ولو توفرت له المناخات والظروف وهي آتية إن شاء الله سيلعب بالتحالف مع مصر الدور الريادي والقيادي في المنطقة العربية، فالعراق هو الجسر الحضاري الكبير ما بين الأمم الثلاث التي خلقت التأريخ الإسلامي. وهي الأمة العربية والفارسية والتركية، هذه الأمم الثلاث هي التي خلقت تأريخ الحضارة الإسلامية فموقع العراق استراتيجي مهم. في السابق كان بن غوريون له مثلث استراتيجي يضم إسرائيل وتركيا وإيران.. وكانت الاجتماعات تتم في إحدى البلدان من أجل مشروع التحكم في الشرق الأوسط. لكن الثورة الإيرانية سحبت السجادة من شاه إيران ورفضوا التعامل مع إسرائيل، بل قاموا باستبدال السفير الإسرائيلي بسفير فلسطيني، والأتراك أيضاً ومنذ ١٥ عاماً أصبحت سياساتهم واضحة ففشل هذا المثلث.

"القوات العراقية جاهزة لسد الفراغ الأمني"

× لكن كان هناك مثلث عربي استراتيجي ألا يمكن إعادته؟

– نعم كان هناك مثلث عربي مهم في المنطقة يضم العراق ومصر والسعودية، لكن صدام حسين بحروبه الحمقاء كسر أضلاع ذلك المثلث تماماً، لكن بعد التغيير العراق مهيأ، لإعادة لعب دوره الذي يستحقه في المنطقة. سواء على المستوى العربي أو الإقليمي. ونحن نعلم أن هناك دولاً لا ترغب في ذلك، بل هناك دول تنافسنا على هذه المكانة، فلنفهمها جيداً، وما علينا إلا أن نحصن الذات من خلال بناء الوحدة الوطنية العراقية، لأن في الفرقة تكمن مفردات الضعف، ونسمح بتدخل ونفوذ بعض الدول في شؤوننا الداخلية، وهذا أمر طبيعي لأن الضعيف دائماً يكون أرضاً خصبة للتدخلات الخارجية.

× لم تجبني سعادة السفير على سؤالي بشأن موقف العرب من الانسحاب الأميركي؟ وما مدى جاهزية قواتنا في ملء الفراغ الأمني؟

– أنا بتقديري أن القوات الأمنية والعسكرية قادرة على سد الفراغ الأمني إذا ما انسحبت القوات الأميركية، لكن بشرط أن تتوفر النوايا الحسنة عند الجميع ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، والعرب وللأسف وكما قلت يكيلون بمكيالين إزاء العراق فقط، فهم لديهم قواعد عسكرية واتفاقات مع أميركا، ويعيبون علينا هذه المسألة، فهم ينطبق عليهم المثل القائل، لو نظر الناس إلى عيبهم ما عاب إنسان على الناس، ومن كان بيته من زجاج لا ينبغي عليه أن يضرب الناس بالحجارة.

"بالتشاور نحل مشاكلنا مع الكويت"

× السياسة الكويتية إزاء العراق، كملف التعويضات وقضية الخطوط الجوية وأخرها مشروعهم ببناء ميناء مبارك الكبير الذي سيضيق الخناق على الموانئ العراقية. ألم تناقش على طاولة مجلس الجامعة العربية؟

– في واقع الأمر لا يوجد في إطار عمل مجلس الجامعة مثل هذه المشاكل اليومية مع الجارة الشقيقة الكويت، فهناك آراء مختلفة ومتعددة، وهناك أمور استدعت تصريحات إعلامية وبرلمانية وسياسية، والدولة العراقية بحسب علمي تقوم بمعالجة جميع الملفات، ووزارة الخارجية مهتمة جداً بهذا الأمر، وأخضعته إلى لجنة فنية تضم جميع الوزارات المعنية بتلك المواضيع وخرجت تلك اللجنة بتقرير شامل، وتوصلت إلى قناعة بأن هذه الأمور تحسم من خلال التحاور والتشاور ما بين حكومتي العراق والكويت.

"الهوية العراقية هي الأم والأهم"

× هناك ضعف في النضج السياسي والإداري لأغلب قيادات البلد، التي تتشارك في الحكم، هل هو قلة خبرة، أم أنهم لا يزالون يديرون البلد بعقلية المعارضة؟

– أنا غير مسموح لي الحديث بأمور سياسية يومية تحصل في بلدي. فأنا كسفير لا يصح لي أن أصرح برأيي فيما يحصل، لأني أمثل بلدي بجميع مكوناته داخل الجامعة العربية.

× لنغير صيغة السؤال ونقول كيف تنظر إلى المستقبل السياسي في العراق؟

– بقناعاتي أن العراق مر بمرحلة خطيرة جداً في تأريخه، ولكن جميع المؤشرات تدل على أن هناك وعياً متبادلاً ما بين الجمهور العراقي بجميع مكوناته، وشعر الآن بأن وحدة العراق هي الأهم والهوية العراقية هي الأم وبقية الهويات الأخرى هي هويات فرعية، فالتركيز على الهوية العراقية يؤكد تماسك الجماعة الوطنية، وهذا التماسك يمهد لقيام نظام قوي لا يسمح للآخرين بالتدخل في شؤونه، ففي تقديري أن الأمور تسير ببطء، ولكن بإيجابية نحو الأفضل.

> **حين سألت رئيس وزراء فرنسا السابق ميشيل روكار: لماذا تركتم صدام يجهض انتفاضة عام ١٩٩١؟ رد عليّ بحسرة وألم: لقد تركناه يذبح شعبه، كانت هناك مصالح**

"نقمة النفط عامل ظهور السلطات الاستبدادية"

× المنادات بالقومية العربية والتعكز على الصراع العربي الإسرائيلي، ووجود النفط. ألم يكن مرتعاً خصباً لظهور الحكومات الاستبدادية في المنطقة؟

– أنظر، لقد أبتلينا بأمرين أولهما إسرائيل وهي الحافز الأول لقفز العسكر على السلطة، وجميعهم كانوا يضحكون علينا ويرفعوا شعاراتهم، وهي غير صادقة بشأن تحرير فلسطين، والسبب الثاني هو نقمة وليس نعمة النفط، التي جعلت من شعوبنا كسولة لا تعمل، وهذه النقمة أيضاً أعطت للحكام القوة لأن يتحكموا بمقدرات الشعوب من خلال شراء ذمم وضمائر البعض.

> **النفط جعل من شعوبنا كسولة، وهذه النقمة أعطت للحكام القوة لأن يتحكموا بمقدرات الشعوب من خلال شراء ذمم وضمائر البعض**

"ثورة الهويات الوطنية"

× بعد اندلاع ثورة البوعزيزي في تونس وما تلتها من ثورات وتغيرات في المنطقة، مثل انفصال جنوب السودان، هل ما زال حلم وشعار أمة عربية واحدة قائماً، أم أننا سنشاهد في المستقبل القريب جامعة دول عربية عددها ٢٠ دولة مثلاً؟

– علينا أن نعي الدرس من التجارب العالمية، فنحن لا نعيش على هذا الكوكب لوحدنا، وإنما نعيش ضمن كتل وتيارات سياسية كبرى، ونرى أن العالم يتجمع ولا يتفرق، وها نحن نرى أوروبا التي خاضت حروباً عالمية فيما بينها في السابق مجتمعة في ظل الاتحاد الأوروبي، في أميركا، ألمانيا، إيطاليا العديد من الدول كانت ممزقة والآن توحدت ضمن ولايات أو أقاليم، وهناك كتل اقتصادية كبرى وليس سياسية فقط، وكذلك وجود مصطلح استخدم كثيراً وهو مناقض للعولمة. مصطلح ثورة الهويات، وهذه الثورات جاءت كرد فعل على تجاوز السيادات الوطنية، بعد أن أصبح العالم محكوماً بشركات كبرى ومؤسسات اقتصادية هائلة، وهذا مخالف للقوانين السابقة حين كانت تقوم الدول على مبدأ القوة والإمبراطورية العسكرية، ومن ثم استقرت على مبدأ الإمبراطورية السياسية، والآن الإمبراطورية الاقتصادية مع دخول عالم المعلومات فيها، إلى درجة ظهرت دول لم يكن لها شأن في هذا المضمار، نحن في الدول العربية نستعجل التأريخ، فالأمم تحتاج إلى وقت طويل لكي تتوحد، فشعار وحدة فورية كلام غير منطقي وتجاوزه الزمن وانتهى.

> **علينا أن نسأل، ما الذي تفرزه الظاهرة الدينية إذا ما حصلت في المنطقة العربية؟، فالنموذج العراقي لا يشجع، وبدلاً من أن تلعب دور البناء، جعلت من الخلاف أساساً لحركتها**

"صندوق عربي بمليار و٦٠٠ مليون دولار"

× هل هناك ثمة خطة معينة لدى الجامعة لتحقيق شعار الوحدة عبر فترة زمنية معينة ووفق آليات علمية مدروسة ومتفق عليها؟

– ما ترسمه الجامعة الآن هو رسم خطوات راسخة للتكامل الاقتصادي العربي والاندماج، فمثلاً حين يرتبط العالم العربي بخط سكك حديد واحدة، وكذلك بممرات مائية وبرية وجوية وإلكترونية، والتحرك لإنشاء صندوق عربي لدعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة قدرت بمليار و٦٠٠ مليون دولار إلى يومنا هذا، ووصول الجامعة إلى هذه القرارات الخطيرة في تأريخها، نكون قد لمسنا الطريق الصحيح باتجاه ذلك، وعندما تتباحث الجامعة ككتلة سياسية مع الكتل السياسية الأخرى، فعندما ذهبنا إلى الصين وتركيا، كنا نتحدث بخطاب عربي موحد، وهذا يحدث للمرة الأولى في تاريخ الجامعة العربية، فالسير بهذا الاتجاه يولد حقائق ميدانية ويكون ترابط المصالح واقعاً ملموساً، فقد انتهى عهد المبادئ، نعم هي مهمة لكن الأهم هو المصالح الاقتصادية، فلندع الشعارات جانباً.. ونعمل على أرض الواقع بالمصالح الاقتصادية.

"السيادة الوطنية هي العائق لتحقيق الوحدة الكبرى"

× لماذا لا تُفعّلون عمل السوق العربية المشتركة التي تأسست عام ١٩٥٧ ولم نلحظ لها وجود فعلي على أرض الواقع؟

– نعم علينا فعل ذلك لأن السوق الأوروبية المشتركة، هي من وحدت أوربا على سبيل المثال، بينما السوق العربية المشتركة ومنذ العام ١٩٥٧ لم تحقق ما نصبو إليه، وذلك لوجود عدة موانع، أهمها السيارات الوطنية، فأصبحت الدولة القطرية كما تسميها المفاهيم القومية بها سيادة أكبر من الدولة القومية، وعدم تجاوز هذا العائق هو السبب في عدم تفعيل هذه السوق، وحتى في الوحدات الكبرى مثل الوحدة الأوروبية نجد هناك في فرنسا مثلاً وهي عضو في الاتحاد الأوربي مثل هذه النزعات أو الهويات الوطنية تتمثل بما يسمى الأحزاب السيادية. ففيها هناك الجبهة الوطنية وهي جبهة عنصرية تطالب بالعودة إلى الفرنك الفرنسي والانسلاخ من الاتحاد الأوربي، لأنهم يعتبرون الهوية الفرنسية أهم من الهويات الأخرى، وهناك نجد وزير الدفاع الفرنسي، وهو اشتراكي ولديه حزب سيادي من أهدافه تحقيق سيادة المواطن على أرضه ولديه أيضاً ملاحظات على الاتحاد الأوربي، فدائما هناك التوحد والعولمة وكذلك المشاريع الكبرى تواجه مشاريع صغيرة، وهي ردود فعل طبيعية.

"بحاجة إلى دولة مركزية ليست بمفهوم الاستبداد"

× في العراق نجد الكثير من التصريحات التي تدعو للتفرقة، ألا يؤثر ذلك على وحدة البلد وتجزئته؟

– علينا أن نتحدث بلغة المقارنة والمقاربة لكي نحصل على المفاهيم الموضوعية والعلمية، فمثلاً هناك وحدات متناثرة سكانياً واقتصادياً وسياسياً في عدة دول، في فرنسا الكورسيكيون يقولون لسنا بفرنسيين، وكذلك الباسك والبروتون في الشمال، ويقولون لماذا تفرض علينا الهوية الفرنسية، فضلاً عن ذلك أن الفرنسيين الأصليين يرفضون أيضاً أن يكونوا تابعين لأوربا، كل هذه الأمور عبارة عن نوازع ذات طابع تجزيئي أو انفصالي، ولكنا عندما تتوفر العدالة وتكون هناك دولة مركزية، أي مركزية ليست بمفهوم الاستبداد، ولكن بمفهوم تماسك وحدات المجتمع والمصلحة الواحدة، سيقتنع العديد من الأطراف بضرورة وأهمية الوحدة الوطنية على حساب التجزئة، وأعطيك مثالاً على ذلك جميع العاملين في فرنسا يقومون بدفع ضرائب للحكومة المركزية، وفي أغلب الأحيان يرفض الكورسيكيون دفع تلك الضرائب، وهذا إخلال في الوحدة، ولو حدث هذا الأمر في أي منطقة عربية لرأينا الجيش يتكفل بإخضاع الجميع على دفع الضرائب، لأن المواطن له حقوق وعليه واجبات، ولكن الحكومة الفرنسية تتغاضى عن هذا الأمر لأنها تنظر إلى الأهم وهو الوحدة الوطنية. فنحن عندما نصل إلى هذا المستوى من التعامل الوطني نكون حققنا وحدتنا الوطنية.

"هويتنا العراقية فوق كل شيء"

× المواطن العراقي، حتى البسيط، يخشى على هويته الوطنية قبل أي هوية أخرى، ولكن نجد بعض الساسة يعملون خلاف ذلك أين الخلل برأيك؟

– أنا مع المواطن بمبدأ الشعور العالي بالمسؤولية، هويتنا العراقية فوق كل شيء، لأن لدينا مثل شعبي معروف "الذي يحتاجه البيت يحرم على الجامع"، وعلى الرغم من بساطة المثل علينا أن تنطلق منه كقاعدة صحيحة، فما يحتاجه العراق يحرم على أي جامع آخر، ونحن في العراق حدثت الإشكالية الكبيرة في العلاقة ما بين الحكومة والمواطن، عندما قام صدام ودولته الاستبدادية بتفضيل طرف على العراقيين، وهذا خطأ جسيم جداً، فهو بعمله هذا أساء أصلاً للفكرة القومية لأنها فكرة نظام، وكذلك أساء للفكرة الوطنية وبالتالي جعل الواحد بمواجهة الآخر، فما علينا إلا أن ننمي ونحقق الحريات والعدالة بين مكونات المجتمع برمته، والتمسك بالهوية الوطنية مع عدم ممانعة التمسك بالهويات الفرعية ففيها إثراء وتنوع للوحدة الوطنية.

"المد الديني سببه القوى الكبرى"

× الثورات العربية الحاصلة قد تنتهي إلى صعود التيارات الدينية للسلطة، أين هي الأحزاب الديمقراطية أو العلمانية مما يحدث؟

– القوى الكبرى بتحالفها مع الأنظمة الاستبدادية على المستوى العربي قد ضحت بالأحزاب الوطنية والديمقراطية، وتخلت عنها بشكل غير مسبوق، مما أدى إلى رفع مستوى الصعود الديني في المنطقة، وهذا الصعود موجود في العالم كله، نتيجة انهيار الأيديولوجيات الكبرى، نحن وللأسف في المنطقة العربية مررنا سريعاً بتلك الأفكار وهناك شعوب تمر بسبات عميق، وأخرى تمر بحروب ونحن كعرب منذ سنوات قليلة بدأت عندنا الاستكشافات فهناك واقع وما وراء الواقع، ما وراء الواقع أمر مثالي يخضع لتفسير فردي وليس للجماعة الوطنية التي تفكر بالواقع اليومي وتحقيق سبل اندماجها في العالم ككل بمبادئ ذات طابع وطني ومسيرة ديمقراطية مع إنعاش للحريات وإعادة بناء الذات لمواجهة الآخر، إلا أن هناك فترة زمنية يجب ألا نبالغ في القفز على مراحلها، فمن الذي كان يتوقع من الصين الشيوعية أن تبني النظام الرأسمالي، لأنها وجدت نفسها في ظل هذا النظام ستسيطر على العالم، والآن الدولار الأميركي من دون دعم اليوان الصيني ينهار تماماً، وهناك نماذج أخرى، وعلينا أن نستفيد من التجارب الأولى للنهوض بواقعنا. والمد الديني مثل المد الشيوعي في العراق عام ١٩٥٩، فكان حينها نشط في كل شيء. ولكن لم يكن لديه غير وزارة واحدة هي وزارة البلديات التي قادتها المرحومة نزيهة الدليمي، هذه ظواهر ديناميكية أو حراك شعبي.

"النموذج العراقي .. لا يشجع"

× لكن هناك دول تقوم على توسيع رقعة هذا المد؟

بالتأكيد، هنا في مصر السلفيون تدعمهم الدولة الفلانية، والإخوان المسلمين أيضاً تدعمهم دولة معينة، هذه هي حركة التأريخ، ولا يمكن الحكم على مسيرة مجتمع ضمن مجتمعات عالمية بمظهرية واحدة أو بمشهد سينمائي واحد، لابد أن تأخذ عمق التأريخ والجغرافية والبرنامج المرسوم وغيره من الأمور. وهناك مثل يقول تقاس الأمور بنتائجها، وعلينا أن نسأل ما الذي تفرزه الظاهرة الدينية إذا ما حصلت في المنطقة العربية، فالنموذج العراقي لا يشجع فبدلاً من أن تلعب دور البناء، جعلت من الخلاف أساساً لحركتها.

المحرر مع قيس العزاوي